اجتهادات
السيرةُ العطرة

كان كتاب «على هامش السيرة» أول عملٍ قدم سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام بمنهجٍ علمى اجتماعى أظهر جوانب جديدة فيها. فقد أُصدر بأجزائه الثلاثة قبل 90 عامًا تقريبًا.

وعندما قدم الراحلُ الكبير د. طه حسين، الذى تحلُ الذكرى الخمسون لرحيله فى أكتوبر المقبل، رؤيته للسيرة النبوية فى ذلك الوقت، كانت الكتاباتُ عنها تنهل فى الأغلب الأعم من المرجع الأول والأهم الذى دوَّنه عبد الملك بن هشام فى أواخر القرن الثانى الهجرى، إلى جانب كتبٍ مهمةٍ أيضًا مثل الشمائل المحمدية للترمذى، وجوامع السيرة النبوية لابن حزم الأندلسى، والوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزى، والمواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلانى، والفصول فى اختصار سيرة الرسول لابن كثير، وغيرها.

وكان بعضُ هذه الكتب ضمن قراءات د. طه حسين التى أوحت له بأن يكتب خواطره وتأملاته. ولكن الخواطر، التى تعبرُ عادةً عن أفكارٍ أولية فى نصوصٍ قصيرة، تحولت إلى عملٍ كبير يُقدَّمُ أفكارًا ناضجةً بمنهجٍ علمى وأسلوبٍ آخاذ وطريقةٍ مُشوَّقة، فيبدو لك كلما عُدتَ إليه أنك تقرؤه للمرة الأولى.

ولم يكن د. طه حسين المفكر الحداثى الوحيد الذى اهتم بالسيرة النبوية فى تلك الفترة. فبعد نحو عامٍ على إصدار آخر أجزاء «على هامش السيرة»، أصدر د. محمد حسين هيكل كتابه الجميل «حياة محمد» معتمدًا على منهج التحقيق التاريخى وليس أسلوب السرد النمطى، ومُتوخيًا تحرير السيرة العطرة من شوائب علقت بها فى بعض الكتابات التقليدية.

وحدث أن د. هيكل ذهب بعد ذلك إلى الأراضى المقدسة، وانفعل بوجوده فى المنطقة التى شهدت فجر الدعوة وخطوات الرسول العظيم، فنشر عام 1936 كتابه المُلهم «فى منزل الوحى». وتبعهما عباس العقاد، الذى اجتهد فى رسم صورة شخصية نبى الإسلام من جوانب مختلفة أكثر مما عُنى بتقديم سيرته، فى كتابه «عبقرية محمد» عام 1942.

وصارت تلك الأعمالُ قبلة الراغبين فى قراءة السيرة العطرة بطريقةٍ معاصرة ومنهج علمى لسنوات، إلى أن أُصدرت كتبُ أخرى من أهمها كتاب الشيخ محمد الغزالى «فقه السيرة» عام 2000.

فما أحلى العودة إلى السيرة النبوية فى الشهر الفضيل.